



انتظرت القوى الكبرى أن يقضى النظام السوري على الثوار السوريين، ولم يسعه ذلك. منحوه عاماً كاملاً لي فعل فتطوى هذه الصفحة، لكنه فشل. إصرار الثوار وشجاعتهم فاجأت الكل، الكل بلا استثناء، حتى النظام نفسه لم يكن ليتصور أن 45 عاماً من القمع والترهيب لم تطفئ جذوة الشجاعة في نفوس السوريين، وأن النار كانت ساكنة تحت الرماد، خلع السوريون لباس الجوع والخوف وخرجوا لا يلوون على شيء.

لم يتوقف الثوار يوماً منذ ستة وأربعة أشهر، بل ازدادوا إصراراً وارتفع عدد المظاهرات اليومية بالتزامن مع ارتفاع عدد الضحايا. حتى إسرائيل الدولة الأثمة أطلقها بطش نظام بشار الأسد بالسوريين، فقد تعجب الإسرائييليون كيف لأحد أن ينكل بأهله وقومه ويذبحهم بدم بارد؟ الإسرائييليون الذين يعدون آخر من يفقه في حقوق الإنسان، الذين امتهنوا التنكيل بالفلسطينيين المدنيين 70 عاماً، استذكروا أن ينظر بشار الأسد للشعب السوري - صغارهم وكبارهم - على أنهم أعداء وخصوم.

سفن إغاثة النظام السوري العابرة من روسيا وإيران والمحملة بالأسلحة والعناصر المدربة تمر منذ ينایر (كانون الثاني) الفائت تحت أعين الأقمار الصناعية وأجهزة الرصد الأميركي والأوروبي حتى تفریغها في ميناء طرطوس. الغرب يغض النظر عنها لأنه لا يتحمل تداعيات الاعتراف بحقيقة، لكنه جهور الصوت برفض تسليح الجيش الحر. في النهاية، لا نستطيع أن نلوم الروس وحدهم، لأنهم ليسوا أسوأ من الشياطين الخرس.

حسابات سوريا معقدة على دفتر الدول الكبرى، فالرئيس الروسي العائد فلاديمير بوتين يريد أن تستعيد بلاده دورها المحوري وتستعيد مقعدها كأحد القطبين اللذين يحكمان العالم. أما الرئيس الناعم باراك أوباما فهو يعمل وكأنه رئيس لدولة نامية صغيرة، هدفها لملمة أبنائها العسكري المنتشرين في مناطق النزاع الساخنة وإعادتهم لحضن أمهاthem. وميركل القوية،

ولية أمر الاتحاد الأوروبي، مهمومة من انهيار اقتصاديات دول اليورو.

الثوار السوريون ليسوا أولوية لأحد، بل هم إشكالية معقدة، صلت لربها الدول الغربية أن تصحو يوماً لتجدها قد حلّت. من يصدق أن الثوار السوريين لم يقرروا حمل السلاح الخفيف وحماية أنفسهم من شراسة النظام الحاكم إلا في منتصف مارس (آذار) الماضي؟ أي بعد مرور عام كامل على انطلاق ثورتهم في مارس 2011! ليس عجياً أن تكون هذه الثورة عصية على الهزيمة.

صحيح أنه لو لم يحمل الثوار السوريون السلاح لكان عدد الضحايا متزاذاً بأضعاف 14 ألف ضحية المعلنة، خاصة مع احتماء التحدي، ولكان موقف الدولي كما هو؛ روسيا تدعي وجود عصابات مسلحة كما يردد النظام، وبقية الدول الغربية حائرة بين الانتصار للسوريين أو مراعاة مصالحها. ولكن مشكلة تسلح الجيش السوري الحر أنه تسلح خفيف، وبعده من رجيع أفراد الجيش الذين انشقوا عن النظام أو باعوا أسلحتهم. وأن هذا المستوى البسيط من التسلح كشف سوء الجيش السوري وضعفه وأظهر حقيقة أنه جيش البزة العسكرية وليس جيش آلة الحرب العسكرية، اضطر النظام إلى تكثيف استجلاب الإمدادات اللوجستية من آلات عسكرية وأفراد مدربين من روسيا وإيران، فظل توازن القوى كما هو؛ لصالح جيش النظام وشبيحاته.

أشاع نظام بشار الأسد أن الجيش الحر مدرج بالسلاح ليبرر للعالم جرم أفعاله بحق المتظاهرين وقصفه العشوائي للأحياء السكنية، واستهداف الجنائز، والخطف والاعتقالات اليومية.

ما سيغير موقف الدول الكبرى من القضية السورية هو استمرار فشل النظام في القضاء على الثورة، ولكن هذا الوقت الذي تحتاجه هذه الدول لتفقد الأمل وتُيأس من فاعلية النظام في قمع المظاهرات وصد الجيش الحر سيأتي على حساب المدنيين، ويمرور هذا الوقت بلا حسم ستتكرر مجزرة الحولة حتى يصبح خبر ارتکاب المجازر خبراً اعتيادياً، كما أصبح عدد القتلى اليومي خبراً اعتيادياً.

التسلیح الجاد لعناصر الجيش الحر وفرض مناطق عازلة سيحمي المدنيين، خاصة النساء والأطفال، وسيوصل الثوار للقصر الرئاسي خلال أسبوع قليلة، وسينتهي هذا الفصل الدامي والمؤلم من حياة السوريين بأضرار أقل، وكل من يماطل أو يؤخر الحسم هو شريك في مسؤولية الدم، لأنه يفعل ذلك عمداً وليس اضطراراً.

المصدر : الشرق الأوسط

المصادر: